

مشاهدات العلامة محمد رشيد رضا لموالد بعض الأولياء

الكاتب

العلامة محمد رشيد رضا



محمّد أحمد درنيقة
دكتوراه دولة في الفلسفة

السيّد محمد رشيد رضا

إصلاحاته الاجتماعيّة والدينيّة

دار الإيمان

مؤسسة الرسالة



سلسلة الآثار العلمية
للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد
١٨

حصول الخير والسعادة

بمنع البناء على القبور والزيادة

تأليف
عبد الله بن عبد الرحمن السعد

ومعه

١- فقه المزار.

٢- مساجلة علمية في مسألة عظيمة من مسائل الديانة الإسلامية، وهي البناء على القبور بين مجلة «المنار» ومكاتبها مهدي الحسيني الكاظمي القزويني.

٣- تعقيب تقي الدين الهلالي الحسيني الكاظمي في بيان الحق في هذه المسألة الكبرى، وأي القولين أحق بالصواب؟

٤- مناظرة بين تقي الدين الهلالي ومجتهد من مجتهدي الشيعة.

اعتنى بها
سعد بن محمد القحطاني



مشاهدات محمد رشيد رضا بموالد بعض الأولياء

وإليك وصفاً لما يفعل من البدع والمنكرات والشركيات عند هذه القبور والأضرحة وخاصة عند الاحتفال بمولد صاحب الضريح، ذكره الشيخ رشيد رضا - رحمه الله تعالى -، ونقل هذا الوصف بواسطة كتاب «السيد محمد رشيد رضا إصلاحته الإجتماعية والدينية» للدكتور محمد أحمد درنيقه، قال - أي: محمد درنيقة- (ص٢٠٦): (يذكر رشيد رضا أن للموالد عند المصريين شهراً مهماً هو شهر رجب من كل عام؛ حيث يحتفل بموالد بعض الأولياء: الرفاعي، البيومي، الإمام الشافعي، السيدة زينب... فكانت شوارع القاهرة تزدحم بالوفود القادمين من الأرياف لحضور هذه الموالد، وكانت النساء تزغردن وتغنين، والأولاد مشاة وركباناً... أما مشايخ الطرق فكانوا يلبسون أزياء رائعة وسط طبول ومزامير وأعلام من كل الألوان، ويحيط بهم رعية طائعة.

يصف رشيد رضا شيخاً منهم بقوله: «رأيت شيخاً كبيراً يقود زعنفة في الطريق، وعلى رأسه عمامة حمراء كبيرة عجراء؛ وهو يصيح ويتغنى، ويتمايل ويتثنى، وبيده قضيب يهش به على الزعنفة، ويشير إليهم بالأمر والنهي، وهم له خاضعون، ولأمره ممتثلون، بفرح وسرور، ووجدان وشعور؛ لأن السلطة روحية دينية، لا قهرية سياسية».

وفي شهر ذي القعدة سنة ١٣١٥ هـ/ آذار ١٨٩٩م، زار رشيد رضا المسجد الأحمدي في طنطا، وشهد مولد السيد البدوي المشهور، ورأى ما تتولد فيه من البدع والمنكرات، والجهالة والضلالات، وكل فعل مذموم، قال يصف ذلك: «تدخل المسجد فترى سواداً عظيماً وتسمع جلبة وضوضاء، ترى أناساً قد وضعوا في أعناقهم السلاسل والأغلال، بعضهم عار وبعضهم يلبس الأخلاق

والأسمال، وقد تجسدت عليهم الأدران والأقذار، ولَبَّدوا شعورهم المضفورة حتى لا ينفذها الماء؛ والحشرات ترتع في أجسادهم، تطوف في أطواء مرقعاتهم، وأهداب قبعاتهم، وقد قاموا إلى ما يسمونه الذكر كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وما كان ذكرهم إلا همهمة، ودمدمة، وحمحمة، وجمجمة، تشوبها صيحات ونبآت، وتخالطها شهقات وزفرات. ويعلوها مكاء (صفير)، وتصدية (تصفيق) ويتخللها أوامر ونواه، ودعاو طويلة عريضة، وتهذار وهذيان (كلام لا يعقل ولا يفهم كالذي يصدر عن المريض)؛ ويعقبها نوبات صرع وإغماء؛ يشترك في ذلك كله النساء والرجال، والشيوخ والأطفال».

وفي جانب آخر شاهد رشيد رضا جماعة متصدين للرقي والتمائم وشفاء الأمراض، وشاهد العرافين الذين يبينون للناس ما غاب عنهم من المصالح الدنيوية، الذين يبشرون البائسين وسائر أرباب الحاجات بقضاء حوائجهم، وزوال بؤسهم، وانتصارهم؛ إذا أغدقوا عليهم المال. ورأى جماعة أخرى تطوف حول قبر السيد البدوي، الذي تحول إلى كعبة ثانية، وكانت هذه الجماعة تطلب الحوائج من السيد، لما شاع بينها من القصص والحكايات حول مقدرته العجيبة في قضاء الحوائج!

هذه الأساطير التي أقرها شيوخ العلم والإرشاد ولم يعترضوا عليها كانت تقود الجماهير بسلاسل التقليد إلى الاعتقاد بأن السيد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويبين رشيد رضا أن الذي دفع العلماء إلى السكوت عن هذه الأمور خوفهم من الوقوع في قضية إنكار الكرامات أو الاعتراض على الأولياء الذي يخشى معه أن يلحقوا بهم الأذى والضرر.

ورأى رشيد أيضاً أن «الوليات يفضن الخيرات والبركات على الناس بواسطة المصافحة والتقبيل والعناق، ويقذعن -عند ذلك- بألفاظ من الفحش لا

يليق أن تحكى فضلاً عن أن تسطر في الأوراق.

ويردف قائلاً: رأى كاتب هذه الكلمات بعينه ولية منهن صبيحة الوجه، وفي معصميها أسورة، وفي أصابعها خواتيم، وفي عنقها عقود، وقد جمع رأسها إلى رأسي رجلين، والتفت الأيدي على الأعناق فكان عناقاً مثلثاً... رأى منهن فتاة مدت يدها لمصافحته، فأعرض عنها فوثبت عليه كالثعبان وقبلته في وجهه قبلات متتابعة، وفعلت ذلك مع غيره أيضاً.

وهذه الأمور كانت تجري في بيت الله ويراها ويسمعها العلماء الذين لا يفعلون شيئاً للتخلص من هذه الانحرافات، لا بل أن هؤلاء العلماء تركوا مجالس العلم في وقت المولد، فأصبح المسجد بيد هذه الفئة، تفعل ما تشاء دون نهي أو إنكار، وذهب بعض العلماء إلى تهنئة هذه الفئة بهذا الموسم الشريف، والدعاء لهم بأن يطول بهم العمر لإحياء مثله أعواماً عديدة.

يرى رشيد رضا أن هذا السكوت من قبل العلماء قد أوقع في ذهن العامة أن هذه الأعمال وأضرابها من مهمات الدين، فما كان من رشيد رضا إلا أن وقف يستنكر هذه المحرمات.

ويحصر رشيد رضا المنكرات التي شاهدها في مولد السيد البدوي بالمسجد الأحمدي في طنطا بـ:

١ ـ التوقف عن قراءة العلم وإفادة المتعلمين حتى يخلو المسجد للذاكرين والطائفين...

٢ ـ ترك صلاة الجماعة التي يحضرها أهلها المواظبون عليها في ذلك المسجد؛ بالرغم من أن المحتفلين بالمولد يقومون ببعض صلوات تقام بين عزف العازفين، وصراخ الصارخين، ومدافعة المارين، أي أنها تخرج عن صورتها الشرعية.

٣ـ التشويش على المصلين بدق الطبول والدفوف، والنفخ بالشبابات والمزامير، وصراخ المستصرخين بالسيد (قدس سره العزيز)، وصياح المنادين له، وجلبة الذاكرين وضوضاء الوفود والجموع، ومرور الجم الغفير بين يدي المصلي حتى لا يدري ماذا يعمل.

٤ـ الصلاة إلى قبر السيد، وهذه البدعة السيئة لا تقتصر على موسم المولد، ولكنها تزيد فيه، ويرى رشيد رضا بأن إزالة هذا المنكر من أهم مهمات الدين، لأن الرسول ﷺ بين أن الله تعالى لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

٥ ـ الطواف بقبر السيد كما يطاف بالكعبة سواء بسواء.

٦ ـ تقبيل أعتاب المقصورة التي فيها قبر السيد، ولمس قفصه والتمسح به وتقبيله.

٧ـ طلب الحوائج والمصالح من السيد (تغمده الله تعالى برحمته)؛ فهم ينادونه: يا سيد اشف مريضي، يا أبا فراج فرج كربتي، يا شيخ العرب تصرف بعدوي... ويندفع البعض إلى استنهاض همة السيد، ويتقربون إليه لقضاء مصالحهم بالدراهم، فقد وضع بجانب القبر صندوق كبير مخروق سطحه خرقاً مستطيلاً بحيث يلقى منه كل نوع من النقود المتداولة.

لكن رشيد رضا لا يعمم الحكم على هذه النذور المالية بالفساد؛ لعدم إمكانية استقراء جميع الأفراد.

٨ـ تقذير المسجد وتنجيسه، لاسيما من الأطفال الصغار الذين يكون المسجد ملعبهم ومبيتهم.

٩ ـ تمكن الأحداث والمعتوهين من تبوء المسجد.

١٠ ـ اختلاط النساء بالرجال في كل نوع من أنواع الاجتماع حتى في النوم

وفي الذكر.

وهنا يصف رشيد رضا حالة امرأة فيقول: «رأيت شيخة منهن تضطرب جميع أعضائها وتتخبط تخبط من أخذته نوبة عصبية، وقد أمسك بها ثلاث كيلا تقع على الأرض، بها الناس والممسكات بها مزدهيات معجبات، قريرات العين بإقبال الناس على هذه الأسرار والكرامات.

وربما كانت المرأة مصابة بالهستيريا وجاءتها نوبة في المسجد، وربما كان كل ذلك تعملاً وتصنعاً (وأما كرامة الله لأوليائه فهي أجل من هذا الهزء والجنون الذي لا ينخدع به إلا الجاهلون).

١١ ـ العزف في الذكر وضرب الطبول والدفوف، والنفخ بالشبابات والمزامير، وقرع الصنوج وما يلحق بذلك من الأغاني الغرامية.

١٢ ـ التصفيق والنفخ والصفير في مجلس الذكر.

١٣ ـ العرافة والتكهن.

١٤ ـ الدجل والتمويه بادعاء الولاية.

١٥ ـ التعاويذ التي يخدعون بها الناس فيوهمونهم أنها تجعل العاقر ولوداً، والعقيم منتجاً، وتجذب قلب المعشوق إلى العاشق، وتشفي من الأمراض المزمنة. . .

١٦ ـ تشويه الخلقة ولباس الشهرة.

١٧ ـ أكل أموال الناس بالباطل.

١٨ ـ مجون الرجال والنساء.

١٩ ـ البيع في المسجد، حيث يباع الطعام واللباس والكتب والسبح والأعطار والأمشاط وأنواع الأدوية، ويرون أن ما يشترى من المسجد له فضيلة

وبركة؛ وإن كان بعض العلماء لا يحرم البيع في المسجد إذا وقع عرضاً ونادراً.

ورشيد رضا إنما ينكر الأفعال المخالفة لهدي الدين لا الموالد نفسها، لأنها أي الموالد مناسبة لاجتماع الناس من مختلف الأنحاء، هذا الاجتماع له فوائد مادية وأدبية لا تنكر.

وقد شاع لدى العامة أن من تعود على حضور هذه الموالد، أو على إنفاق شيء فيها، ثم امتنع عن قيامه بعادته تلك لا بد أن يصاب بنكبة أو بمصيبة، وبلغ الأمر ببعض المعسرين منهم أن يقترضوا الأموال بالربا الفاحش، لأجل إنفاقها في المولد مع اشتهارهم بالبخل والشح ومعاداة الأهل والجيران من أجل المال القليل) ا.هـ من «كتاب السيد رشيد رضا» وهو قد جمع هذه النقول من مواضع متفرقة من «مجلة المنار» (١/ ٨٢-٨٤، ٩٥- ٩٨؛ ٤/ ٦٧٧).

